الباب الثاني

ظواهر مرحلة المراهقة

الفصل الأول

النمو الجسمي..

بيّن الله تعالى التمايز بين مراحل الإنسان ، حيث لكل مرحلة خصائص تختلف عن غيرها ، قال الله تعالى : ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾ [الروم : ٥٤] .

لكن ما يميّز مرحلة المراهقة عن غيرها ذلك النمو السريع ، والذي يشتمل على جميع أجهزة الجسم .

ويميز العلماء بين نوعين من النمو ، هما : النمو الفسيولوجي ، والنمو العضوي .

أ ـ النمو الفسيولوجي (نمو الأجهزة الداخلية) :

ويقصد به كل نمو داخلي يتم دون تدخل الإنسان ودون رقابته ، ومن الأمثلة علىٰ ذلك :

ـ نمو المعدة : حيث يتسع حجمها ، وتزداد قدرتها علىٰ الهضم ، مما يجعل المراهق أكثر رغبة في تناول الطعام .

- ونمو القلب : حيث يتسع حجمه ، وتنمو الشرايين الدموية ، لذلك يرتفع ضغط الدم ، ويصبح القلب أكثر قدرة علىٰ دفع الدم إلىٰ كل أنحاء الجسم ، مما يزيد في النشاط والحيوية .

- ونمو بعض الغدد :

فالغدة النخامية الصغيرة مسؤولة عن بقية غدد الجسم ، فهي التي تنظِّم النمو وتوزع الأملاح ، وتنظّم توتر العروق الدموية وصباغ الجلد .

والغدة الدرقيّة : تزداد إفرازاتها في بداية مرحلة المراهقة ، وذلك لأن النضج الجنسي يزيد من شدة الإفراز ويعود بها إلى حالتها السويّة .

وأكثر ما يبدو النمو بشكل واضح في الغدد الجنسية ، وذلك لتهيئة الشاب لأخذ دور الرجل ، وكذلك الفتاة .

فالشاب المراهق تصبح خصيتاه قابلتين لإفراز الحيوانات المنوية ، بينما تصبح الفتاة المراهقة مهيأة لإفراز البويضات ، مما يسبب الطمث وما إلى هنالك .

أما الحكمة من تغيّر أجهزة الجسم الداخلية فهي كما قال الدكتور عبد العلي الجسماني :

. . . . تطرأ في فترة المراهقة تغيّرات سريعة في الوظائف الفسيولوجية ، ينشأ عنها خلل في عمل الغدد الصمّ وتوازنه فيحدث ما يسمىٰ (بالاضطراب المزاجي) ، ذلك لأن المزاج في الواقع إنما هو تأثير الوظائف الفسيولوجية على الحياة العقلية والجوانب الانفعالية ، يضاف إلىٰ هذا ، أن الاضطراب يمكن حصوله متىٰ كان النمو الجسمي أسرع من النمو العقلي ، أوحينما يكون النمو الجسمي غير طبيعي ، ففي كلتا الحالتين يكون الاضطراب قد هُيئت له الأسباب[1] .

ب ـ النمو العضوي (النمو الخارجي) :

يأخذ النمو العضوي كامل الاتجاهات ، فهو يشتمل على الوزن والطول ، واتساع الكتفين وطول الجذع وطول الساقين وما إلى هنالك .

وقد اختلف العلماء في تحديد مسألة انسجام النمو أو عدم انسجامه في أبعاد النمو ، فعلى سبيل المثال :

تقول الدكتورة سعدية بهادر : علىٰ الرغم من أن الجسم ينمو ليصبح أكبر في البلوغ ، فإن الأجزاء لا تنمو بنفس

---

(١) سيكولوجية الطفولة والمراهقة : ١٣٤ .

المعدل ، فعلىٰ سبيل المثال : تتغير ملامح الوجه ؛ لأن نمو الجزء السفلي من الوجه يتأخّر عن نمو الأجزاء العليا ، كما أن السيقان عادة ما تنمو أسرع نسبياً من الجذع[١] .

وفي دراسة للدكتور نوري الحافظ توصل من خلالها إلىٰ ما يلي :

. . . إن لسرعة التغيرات آثاراً سيئة بالنسبة لتصرّف الأولاد ، وبالنسبة لمواقفهم في كثير من الأمور ، فقد يزداد نمو القدمين والذراعين بسرعة مذهلة مما قد يظهرها بعيدة كل البعد عن التناسق بالنسبة لأعضاء الجسم الأخرى للولد ، وسيصبح حذاؤه والحالة هذه ضيقاً لا يتسع لضخامة قدميه إذ لا يصلح له ، وقد يبدو عليه الارتباك بسبب كبر حجم قدميه ، وستصبح البنت شديدة الحساسية بسبب كبر حجم يديها غير المألوف ، كما أن وجه المراهق الصغير قد يبدو بعيداً عن التناسق لازدياد نمو الفك الأعلىٰ من الوجه بالنسبة لنمو الفك السفلي[٢] .

لكن هناك دراسات تؤكد علىٰ أن التغيرات التي تحدث

---

(١) في علم نفس النمو : ٣٤٦ .

(٢) المراهق : دراسة سيكولوجية شاملة : ٦٠ .

للمراهق تتذبذب إلىٰ الأمام وإلى الوراء ، ولا تثبت على خط مستقيم ، مما يؤدي إلىٰ الاضطراب والارتباك في سلوك المراهق!

من تلك الدراسات ما قام به الدكتور فؤاد البهي ، حيث توصّل إلىٰ مايلي :

. . . وتبدو آثار الجهاز الدموي في نمو القلب ونمو الشرايين ، ويبدأ مظهر هذا النمو في المراهقة بزيادة سريعة في سعة القلب ، تفوق في جوهرها سعة وحجم وقوة الشرايين (٥ : ٤) ثم تتطور في فجر المراهقة إلىٰ (٥ : ١) ويزداد بذلك ضغط الدم من (٨٠) ملليمتراً في سن (٦) سنوات إلى (١٢٠) ملليمتراً عند البنات في فجر المراهقة ، ثم تنقص عندهن حتى تصل إلى (١٠٥) ملليمتراً في سن (١٩) سنة .

ويرتفع الضغط عند البنين حتىٰ يصل إلى (١٢٠) ملليمتراً في فجر المراهقة ، ثم يصل إلى (١١٥) ملليمتراً في (٥ : ١٨) سنة قبل[1] .

ويرىٰ الدكتور حسين الغزي في ذلك رأياً أبعد ، فيقول : . . . يخضع النمو في هذه المرحلة للاتجاهات

---

(١) الأسس النفسية للنمو : ٢٧٣ .

الرئيسية التي تم ذكرها عند الحديث عن النمو بشكل عام ، أي إن الاتجاه الطولي والاتجاه المستعرض يبدوان بشكل واضح وجلي ، ولذلك تنمو الأجزاء العليا من الجسم قبل أن تنمو الأجزاء السفلىٰ ، فتزداد المساحة السطحية لجبهة المراهق وينحسر نبت الشعر إلىٰ الوراء ويغلظ الأنف ويتسّع المنخران ؛ حتىٰ تصبح ضخامتهما مصدر قلق لدى المراهقين والمراهقات خشية أن تشوه سحناتهم ، ويتسع الفم ، وتتصلب الأسنان وتغلظ ، وينمو الفك العلوي قبل الفك السفلي ، ويزداد بذلك تشوّه معالم الوجه ، وتنمو الأذرع قبل الطرفين السفليين ، وهكذا يستمر النمو في اتجاهاته حتى يصل إلى نسبته الصحيحة عند وصول المراهق إلىٰ مرحلة الرشد[1] .

أجل!

فالاضطراب في مظاهر النمو أمر عرضي ، ولو بدا أنه عشوائي ، ذلك لأنه الله سبحانه وتعالىٰ قرر أن الإنسان ـ في كل مراحله ـ صورة معتدلة متناسقة ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين : ٤] .

---

(١) علم نفس الطفولة والمراهقة : ٩٨ .

وقوله أيضاً : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار : ٦ـ٨] .

لذلك فعلينا الالتفات إلىٰ جانب التغذية ، حيث يجب توافر عدة شروط ليكون الغذاء كاملاً ، مثل النظافة من الجراثيم والملوثات ، وأن يكون حاوياً علىٰ جميع الفيتامينات اللازمة للنمو كالنشويات والبروتينات ، وأن يكون مناسباً للعمر ونحو ذلك .

لذلك جاءت الإشارات القرآنية إلىٰ بعض النعم التي يتغذىٰ عليها جسم الإنسان ، قال تعالى :

﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنعام : ١٤١] .

وقال عز وجل : ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ۝١٣ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل : ١٣ـ١٤] .

والشريعة الإسلامية تؤكد علىٰ مسألة الرزق الحلال ، قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة : ١٦٨] .

وتحذّر من المحرم الخبيث ، قال تعالىٰ : ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الأنعام : ١٤٥] .

* * *

الفصل الثاني

النمو العقلي

هناك تعريفات كثيرة للعقل ، منها ما أورده الحارث المحاسبي رحمه الله تعالىٰ :

العقل غريزة جعلها الله عز وجل في الممتحنين من عباده ، أقام به علىٰ البالغين الحلم الحجة ، وأنه تعالىٰ خاطبهم من جهة عقولهم ، ووعد وتوعد ، وأمر ونهىٰ[1] .

وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ : إن اسم العقل عند المسلمين وجمهور العقلاء إنما هو صفة ، وهو الذي يسمىٰ عرضاً قائماً بالعقل ، وعلىٰ هذا دلّ القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ٧٣] وقوله : ﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْآيَـٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران : ١١٨] .

ونحو ذلك مما يدلّ علىٰ أن العقل مصدر عقل يعقل عقلاً ، وإذا كان كذلك فالعقل لا يسمىٰ به مجرد العلم الذي

---

(١) المسائل في أعمال القلوب والجوارح : ٢٣٩ .

لم يعمل به صاحبه ، ولا العمل بلا علم ، بل إنما يسمىٰ به العلم الذي يعمل به والعمل بالعلم .

. . . . ثم من الناس من يقول : العقل هو علوم ضرورية ، ومنهم من يقول : العقل هو العمل بموجب تلك العلوم .

والصحيح أن اسم العقل يتناول هذا وهذا ، وقد يراد بالعقل نفس الغريزة التي في الإنسان التي بها يعلم ويميز ويقصد المنافع دون المضار ، كما قال أحمد بن حنبل والحارث المحاسبي وغيرهما[1] .

وتؤكد الشريعة الإسلامية علىٰ فكرة مهمة ورائعة مفادها :

أن القوة العاقلة موجودة في جميع البشر ، لكن منهم من لم يستخدمها ، لذلك يسير وراء أهوائه وشيطانه ، ومنهم من يُحسن استخدامها ، فيميّز النافع من الضار ، ويسير في خط الله تعالىٰ ، مصداق ذلك قول الله تعالىٰ : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

وفي الوقت المعاصر قدّم بعض علماء النفس دراسات

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية : ٩/ ٢٨٦ .

حول مسألة النمو العقلي ، منها ما يبيّن الصلة بين النمو الجسمي والنمو العقلي عند المراهق ، مثال ذلك دراسة الدكتور عبد الحميد الهاشمي والذي توصّل فيها إلى ما يلي :

. . يعتمد التكوين العقلي ـ جسمياً ـ علىٰ الجهاز العصبي ودرجة نموّه ومرونته وقيامه بالنشاط الحيوي الفعّال ، ويستخدم الأطباء النفسيون المقياس الكهربائي الخاص لدراسة المخ وفحص تموجاته العصبية وأنواعها ، والاستدلال بذلك على قوة النشاط العصبي أو ضعفه ، مما يكون له أثر كبير في دراسة التكوين العقلي للإنسان ، وما قد يعتريه من أمراض عصبية أو انحلال ، ويشمل التكوين العقلي كل نشاط إدراكي يتجلىٰ في حياة المراهق ، فهو يتضمن المستويات العليا والوظائف العقلية في العمليات الارتباطية والذكاء كقدرة عامة ، ثم القدرات الخاصة .

. . . . وللنمو العقلي لدىٰ الإنسان مدارج أو مستويات متتابعة ينتقل معها الإنسان من وليد لا يعقل شيئاً ، إلى راشد بالغ يدرك ما حوله ويدرك نفسه وما يجري فيه ، ويستجيب للبيئة ، ويكفيها للحياة المتطورة وذلك بفضل العمليات العقلية العليا .

ونستطيع أن ندرك المستويات العقلية في تدرّجها من مستويات دنيا إلى وسطى فعليا في مراحل التكامل التكويني ، ثم باتجاه عكسي نازل في مراحل التهدّم والتناقض[1] .

أجل!

إنه خط بياني يبدأ من نقطة الصفر ، ويصعد رويداً رويداً حتى يكتمل ، ومن ثم يبدأ بالهبوط ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل : ٧٨] .

وقوله أيضاً : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾ [النحل : ٧٠] .

ويتفرّع عن مسألة العقل عدة أمور منها :

ـ الذكاء :

يعرّفه العالم الألماني شترن بأنه القدرة علىٰ التصرّف السليم في المواقف الجديدة .

لذلك يكتسب المراهق بعض القدرات كالقدرة اللفظية ،

---

(١) علم النفس التكويني : أسسه وتطبيقاته : ٢١ .

وتعني : التعبير اللغوي عما يدور بخلده ، وما يجده من مشاعر وإحساسات ووجدانات .

والقدرة المكانية أي الهندسية ، والقدرة العددية وما إلىٰ هنالك .

ـ الإدراك :

وهو نوعان : إدراك حسي ، ويعني : إدراك الشيء بوساطة البصر ، وإدراك معنوي ، ويعني إدراك الشيء بوساطة البصيرة .

وفي مرحلة المراهقة يتميز الإدراك المعنوي عن مرحلة الطفولة بأشياء كثيرة ، منها :

اتساع دائرته ، والتركيز الشديد علىٰ كثير من الأمور .

وفي ذلك يقول معروف زريق : . . . أما المراهق فبتأثير النمو العقلي الذي يبلغه ، وبتأثير الآفاق الجديدة التي اكتشفها وعرفها ، يستطيع أن يدرك الأمور المجردة المعنوية .

وتدل الدراسات العلمية علىٰ أن إدراك الطفل للحروب يدور حول الآثار المباشرة للغارات الجوية وما يراه فيها من تخريب مباشر ، بينما يتطور إدراك المراهق ليرىٰ في هذه

الغارات نذير خراب مقبل يهدد حياة الناس ما دامت الحرب قائمة .

وبمعنىٰ آخر ، فإن إدراك المراهق يتخذ آفاقاً واسعةً من الماضي والحاضر والمستقبل ، ويحاول أن يتعمق في إدراكه ليدرك الأسباب المباشرة والأسباب غير المباشرة والنتائج البعيدة ، بينما لا يتعدىٰ نطاق إدراك الطفل الزمن الحاضر الذي يعيشه[1] .

ـ التفكير :

وهو من اختصاص العقل ، حيث تكون البداية في مرحلة الطفولة ، ثم تستمر في النمو والاكتشاف والبحث ، وذلك في مرحلة المراهقة .

وكذلك فإن العلماء يؤكدون علىٰ أن فترة المراهقة هي فترة اليقظة الدينية ، حيث ينطلق المراهق من الشك ليصل إلىٰ اليقين .

وهذا ما يشير إليه القرآن الكريم ، كما في قوله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ

---

(١) خفايا المراهقة : ٥٥ .

مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا . . . ﴾ [الحج : ٥] .

إذاً : ما يتميّز به الإنسان عن غيره هو العقل ، فإن استخدمه في الخير سعد وفاز ، وإن عطَّل قوىٰ الإدراك فيه فقد تساوىٰ مع اللاعقلاء : ﴿ . . أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

* * *

الفصل الثالث

النمو الاجتماعي

في فترة المراهقة يميل المراهق إلىٰ الرغبة في تأكيد ذاته ، فهو يرفض تماماً أن يُنظر إليه كما يُنظر إلى الطفل ، ولكي يتحقق ذلك يقوم ببعض الأعمال التي تلفت نظر الآخرين ، كأن يتصنّع بطريقة ضحكه وكلامه ومشيته ، أو يناقش ويجادل في أمور لا خبرة له بها .

ويبرز أمر آخر في حياة المراهق ، وهي مسألة التمرّد والاحتجاج والغضب ابتداءً من التمرد علىٰ السلطة التي يتمتع بها والداه ، ثم علىٰ سلطة المدرسين وهكذا .

وواجب أفراد الأسرة ، ومن ثم الجماعة أن يرعوا المراهق ويحموه من نفسه والآخرين ، وإلا تحوّل إلى طاقة مدمرة ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم : ٦] .

والأهم من ذلك كله انتقاء أصدقاء له . . . ، وذلك لأن ولاء المراهق لأقرانه أشد بكثير من ولائه لأهله ومدرسته ، وعلى حدّ تعبير الدكتور مصطفى فهمي : . . . والسبب الذي يدعو المراهق إلىٰ الانسجام في الجماعة التي ينتمي إليها في أول مرحلة المراهقة ، محاولته تجنّب كل ما يؤدي إلىٰ إثارة النزاع بينه وبين أفراد هذه الجماعة ، وهو إذ يفعل ذلك يرىٰ أن أي نزاع بينه وبينهم يعتبر في منزلة ثانوية بالنسبة للنزاع الأكبر الذي يقوم بينه وبين السلطة المدرسية والوالدية ، ومن ثم يكون في احترامه لرأي (شلّته) وإخلاصه لهم وخضوعه لأفكارهم نوع من تخفيف الشعور بالإثم الناجم عن عدم طاعته لوالديه ومدرّسيه[1] .

لذلك اعتبر العلماء والباحثون أن أهم العوامل المؤثرة في النمو الاجتماعي في المراهقة هي :

أ ـ الأسرة : حيث يتلقىٰ المراهق حنان الأم وعطف الأب وحب الإخوة والأخوات ، وبالتالي يجتمع الجميع لحلّ المشكلات والأزمات بعيداً عن الأحقاد والعلاقات الاجتماعية الصورية!

---

(١) سيكولوجية الطفولة والمراهقة : ٢٣٦ .

ب ـ **المعلم** : حيث عليه أن يقوم بدوره كمرشد إلى الفضائل والمحامد .

ج ـ **القدوة والأسوة الحسنة** : وذلك من خلال مطالعة سير العظماء والمصلحين ، قال تعالىٰ :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

د ـ **العبادات المفروضة** : حيث إن لها الأثر الكبير في تنظيم السلوك والفكر والعمل الخيّر ، وإلا كم من مصلّ ليس له من صلاته إلا الركوع والسجود ؟!

وكم من صائم ما نال من صيامه إلا الجوع والعطش ؟!

وكم من حاج ليس له من حجه إلا النّصب والشقاء والتعب ؟!

لكن من الواضح ظهور بعض مظاهر النمو الاجتماعي : كالصدق وصلة الرحم والتعاون علىٰ البر والتقوىٰ ، واختيار الأصدقاء ، والميل إلىٰ الزعامات ، والرغبة في الإصلاح ، وما إلى هنالك .

لذلك يجب الانتباه إلىٰ القضية المركزية ، وهي تنشئة

المراهقين علىٰ الأخلاق الفاضلة وحب الخير ، ومشاركة الآخرين أفراحهم وأحزانهم ، ويجب الابتعاد عن العنف ، وإلا آل الأمر إلىٰ تقوقع المراهق وانعزاله أو انكفائه علىٰ حب ذاته .

* * *

الفصل الرابع

النمو الانفعالي

في مرحلة الطفولة تكون الانفعالات بسيطة ، ثم تتطور تلك الانفعالات وتتعقد في مرحلة المراهقة .

لذلك يثور المراهق وينفعل لأبسط الأسباب ، وكثيراً ما يعجز عن التحكّم في مظاهره الخارجية ، فتراه يصرخ أو يصيح أو يبكي . . !!

ومن مظاهر انفعالاته :

ـ **انفعال العُجب** : حيث يعطي ذاته اهتماماً كبيراً ، وبالتالي فهو معجب بجميع جوانب شخصيته : كميوله ومكانته الاجتماعية وطاقاته النفسية وقدراته العقلية وما إلى هنالك .

وإذا تُرك المراهق لهذا الانفعال كانت الآثار وخيمة ، عليه وعلى من حوله ، ولا يضبط ذلكم إلا التربية الإسلامية .

ـ **وانفعال الغرور** : ومعناه شدة إعجاب المراهق

بشخصيته ، والهدف من ذلك جذب الأنظار ، والاعتراف بتميّزه على أقرانه على أساس أنه أصبح كالكبار .

وقد يكون الغرور ناتجاً عن جمال أو صحة أو قوة أو مال أو مركز اجتماعي ونحو ذلك .

والذي يكبح ذلك كله تعاليم الشريعة العصماء ، مصداق ذلك قوله تعالى في حكاية لقمان وابنه : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾ [لقمان : ١٧ـ١٩] .

ـ وهناك انفعال الكبر ، وانفعال السفه ، وانفعال الفتوة ، وانفعال الخوف ، وانفعال الرجاء .

إذاً: أهم خصائص النمو الانفعالي في مرحلة المراهقة هي :

أ ـ الحساسية الشديدة : بحيث يصبح المراهق مرهف الحس رقيق الشعور سريع التأثّر .

لذلك يجب الابتعاد عن التجريح والنقد اللاذع ، واستبدال ذلك بالرفق واللين .

ب ـ مظاهر الكآبة واليأس : وذلك نتيجة انفعالات حادة

متضاربة، ولا حلّ إلا بالتربية الإسلامية، حيث الحنان والعطف، والحب والشفقة ، ومراعاة ذلك التطور في جسم المراهق.

ج ـ **العنف** : حيث يريد المراهق أن يُثبت رأيه أو يُبرز شخصيته ، فيلجأ إلى العنف الخارجي ، أو العنف الداخلي .

والحلّ هو أن يستوعب الأهل والأصدقاء عنف المراهق ، ويوجهوه التوجيه السليم ، ويشغلوه بقضايا أخرى تبعده عن ذلك كله .

د ـ **التمرد والعصيان** : وذلك نتيجة قناعاته أن من حوله لا يفهمونه ، مما يدفعه إلى الفرار من المنزل أو الانطواء على نفسه .

هـ ـ **الانطلاق** : وبتعبير آخر التهوّر والطيش ، والسبب يعود إلى الحيوية والحركة والنشاط ، مع عدم نضوج العقل وقلّة الخبرة والتجربة .

والحلّ أولاً وأخيراً لا يكمن في التقريع والنقد الجارح ، ولا في التخويف ، وإنما في دراسة أوضاع كل مراهق على حدة ، والإنصات إليه ، وتوجيهه إلى كل ما فيه الخير والنفع له وللآخرين ، وإشعاره بالمحبّة .

* * *